موت البريق

عائشة عمارة

مجموعة قصصية

أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

مـــوت البـــريق

رواية

تأليف

عائشة عمارة

عنوان الكتاب: موت البريق

الموضوع: مجموعة قصصية

تأليف: عائشة عمارة

تدقيق لغوي: محمد حسن

تصميم غلاف: عائشة عمارة

رقم الإيداع بالدار : 2026/0537

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-43-1-260516

الناشر:

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01112357473

مصر

موت البريق

مجموعة قصصية

عائشة عمارة

٢٠٢٦

دار أكاديمية الكتاب للنشر الإلكتروني

لكل شيء بريقه الخاص،

يعطيه تميزه، ويشعرنا بالالفة تجاه.

حتى الموت له بريق

وعلمنا بوجود حياة بعده

وكونه الحقيقة الوحيدة في الحياة

يضيف لبريقه بريقاً اضافياً

لكن عندما يموت البريق

فلا مكان للحياة.

عائشة عمارة

فكرة تلك المجموعة من عقاب كتابة فرضه على أستاذي محمود كمال، وبدأت في أول قصصه يوم ١١ يناير ٢٠٢٦، ليأتي الموت و يطرق بابي أخذاً بريق حناني -أمي- يوم ٢فبراير ٢٠٢٦.

وتذهب هي لبريق روحها، وتلتقي بجدتي تاركة خلفها بريق دموعي تنهمر على كل ذكرى أو كلمة تزور خاطري.

أهديها تلك المجموعة و تلك الحياة التي تركتها بداخلي لاعطيها لابنائي.

رحمك الله يا أمي و اسكنك فسيح جناته.

عائشة عمارة

القصة الأولى

جلست امرأة في العقد الخامس من عمرها داخل منزلها المكون من طابقين، تحيط بها حديقة صغيرة على أطراف القاهرة الكبرى، بعد أن هاجرت ابنتها بصحبة زوجها وطفلها إلى كندا بحثًا عن مستقبل لم يعثروا عليه هنا، وبعد أن رحل ابنها غاضبًا مع زوجته إثر رفضها نقل ملكية منزلها له بناءً على رغبة زوجته، لتكون الآن وحيدة في منزل كبير خالٍ حتى ممن كانت تساعدها في المحافظة عليه بعد أن غابت هي الأخرى عن الحياة بأمراض عدة كان آخرها أمراض الكلى، لتعيش بمفردها محافظة على نظافة غرفتها ومطبخها فقط، بعد أن كانت تعتني بالمنزل والحديقة وبتربية أبنائها في شبابها، قبل أن تتبدل الأحوال لتقتصر الحياة عليها هي فقط.

ها قد مرت ستة أشهر كاملة على آخر مرة كانوا معها، ستة أشهر دون مكالمة واحدة أو لقاء منهم أو حتى محاولة للاطمئنان عليها.

أدركت أنها ماتت حقًا وهي على قيد الحياة.

غمرت نفسها في القراءة والصلاة لعلها تجد فيهما الأنس الذي طالما كانت تبحث عنه طيلة حياتها؛ فهي لم يكن لها إخوة.

توفي والداها بعد زواجها بسنوات قليلة لتحيا مع زوجها وحبيبها، متمسكة به كما لو كان هو الحبل الذي يربطها بالحياة.

أنجبت منه ولدًا وفتاة ليصبحوا جميعًا عالمها الكامل الخاص لمدة ٣٠ عامًا من عمرها، ليتوفى زوجها قبل خمسة أعوام من الآن، وتنكشف الحقائق الباطنة في النفوس؛ فابنتها التي تزوجت منذ ١٠ أعوام قررت أن تسير في إجراءات هجرتها هي وأسرتها دون أن تخبر أحدًا، ليتفاجأ الجميع بموعد السفر، وبعد سفرها بأيام يأتي الابن الوحيد والمدلل ليطلب منها نقل ملكية المنزل ليصبح خاصًا به وبأسرته، عارضًا عليها أن تقيم معهم إن شاءت في أحد الغرف، وكانت تعلم أن تلك الرغبة خاصة بزوجته التي تحاول الحصول على كل شيء خاص بتلك العائلة.

لكنها ها هي الآن بعد عمر ذهب ومجهود في التربية والبناء، انتهى بها الحال وحيدة، بل ومن كثرة حديثها مع الصور قرر عقلها أن يكون رؤوفًا بها، أصبحت على أعتاب الزهايمر، عقلها قرر حبسها بداخله وهي بداخل المنزل.

أصبحت تأتي النوبات.،

بدأت فيها بذكريات خفيفة كأحلام اليقظة، ثم تطورت ووصلت إلى نوبات تستمر أيامًا.

تراهم أمامها صغارًا، تحدثهم، تعلمهم كيف يمشون، وتمشي خلفهم، تتحدث معهم لساعات، لتفيق بعدها كما لو كانت في نوم عميق، غير متذكرة ما مر في الأيام السابقة، لتعود لصلاتها وقراءتها مرة أخرى.

الستة شهور أصبحت عامًا، ثم اثنين، بل ثلاثة، لقد وصلوا للعام الخامس، لتسمع الباب يُفتح فيزيح صوت صدى مفاصله الصمت المخيم في أرجاء البيت.

كانت ابنتها وحفيدها يدخلون من الباب باحثين عنها وسط التراب المتراكم في كل مكان، ينادون بل يصرخون باسمها ولقبها:

- يا تيتا، يا ماما!

ولكن ما من مجيب.

كانت تصرخ لهم أيضًا قائلة:

- أنا هنا.

تلوح لهم بيديها، لكن لا يصل صوتها ولا يرى أحدهم تلويحها.

صعدت ابنتها متجنبة الغبار المتراكم على السلم لتفتح باب غرفة والدتها وتصرخ حتى ينقطع صوتها، ليهرع لها زوجها الذي كان ينتظر داخل السيارة أمام المنزل باحثًا عنها وعن سبب صراخها،

ليجدها داخل الغرفة راكعة على قدميها أمام سجادة الصلاة، وخلفها الكرسي الذي لم تفارق والدتها عليه ما تبقى من قماش كان لجلباب ربما أو حجاب، وشعر ملقى على الأرض وبجواره بضع لفات عظام، عظام لأمها.

نعم، لقد ماتت وتحللت هنا، ماتت وحيدة كما عاشت وحيدة.

قالت الأم لنفسها بتعجب:

- لقد متُّ.

بكت حالها بعد أن أدركت أنها أصبحت مجرد طيف.

الآن ترى من بعيد ندم ابنتها ثم ابنها الذي جاء هو وزوجته، ترى في أعينهم خوفًا لم يشعروا به من قبل وندمًا على من خسر كل شيء.

أدركوا أخيرًا أنهم خسروا دفء الأم وخسروا أنفسهم، ندمًا حتى لقاء آخر.

القصة الثانية

ترتسم على ملامح الجميع علامات الحزن والأسى لوداع الراحل إلى العالم الآخر؛ يخرجونه من نعشه متجهين به إلى المقبرة الخاصة بالعائلة وسط صراخ وبكاء الكبير والصغير، والكل في حالة يُرثى لها، عدا شخص واحد؛ إنها هنا واقفة بثبات بلا ملامح، لا تستطيع أن تجزم أنها حزينة أو سعيدة، فقط واقفة بعيون ممتلئة بالدموع لتنطق شفتاها كلمة:

- يا ليتك.

كانت ابنته، وهو والدها! بل كانت ابنته الوحيدة، لكنها واثقة من أنها لم تكن له كذلك؛ فهو لم يشعرها قط بإحساس الأبوة، إحساس الأمان والحنان والاستقرار والظهر والسند، كان ذلك الإحساس مقتصرًا بالنسبة له على أبناء إخوته، تستطيع القول إنه أشبع إحساسه بالأبوة منهم، فلم يبقَ لها سوى التعنيف والإهانة وعدم الأمان، بل والبحث عن الأمان بعيدًا عن مكانه.

لم تشعر في تلك اللحظة بموته كما لو أنها عاشتها من قبل؛ كانت تنظر إليه وهي ترى أمامها شريطًا من الذكريات خاصًا بيوم محدد، يوم كانت في مرحلة الثانوية العامة، عندما وجدت باب منزلها يُفتح باستمرار ليدلف منه أبناؤه -كما يسميهم- إنهم أبناء الإخوة، كلٌ منهم بأسرته دون سابق معرفة أو إذن بالزيارة.

شعرت يومها بأن هناك خطبًا ما سيحدث أو شيئًا سيئًا على وشك الحدوث، وبالفعل.

عندما اكتمل النصاب العائلي له، بدأ التحقيق معها:

- ممن تجلسين، ومع من تخرجين، ومن هذا الذي تجلسين معه، ومن أين تعرفت عليه؟ وغيرها من الأسئلة المصحوبة بالضرب والإهانة اللفظية والجسدية منهم، وهو يجلس صامتًا ينظر فقط، لم يسمح لوالدتها بالتدخل.

هي لم تكن تسمعهم، كانت عيناها عليه فقط؛ هي لا تشعر بضرباتهم ولا تنظر إليهم، كأنهم هواء، كأن هناك فاصلًا زمنيًا قطع عنها إدراك ما يحدث حولها، لتكتفي بالنظر إليه فقط.

كانت نظراتها تصرخ له منتظرة منه أن يضربها هو كما يفعل دائمًا، لا مشكلة لديها، لكن هؤلاء ليس لهم سلطة عليها.

لا يجب أن يحدث كل ذلك، ليقوم هو ويسألها، ليمنع أحدًا من الاحتكاك بها، ليكون لها أبًا ولو لمرة، ولكن لا مجيب.

للحظة شعرت أنه سمع أفكارها وأصابه الدوار.

تجاهلتهم وهرولت إليه لتطمئن عليه، لتصطدم بهم أمامها كما لو كانوا يشكلون مطبات وعقبات تمنعها من الوصول إليه، يبعدونها عنه، يعنفونها، يضربونها قائلين:

- «ابتعدي عنه، لمَ تقتربين؟ ليس لكِ دخل به، هو يخصنا نحن لا أنتِ».

فتحت فمها للمرة الأولى وهي تبكي يومها قائلة:

- «إنه أبي أنا!»

ليرد أحدهم بصفعة على وجهها قائلاً:

- «لا، ليس لكِ فيه شيء!»

يلتفون حوله مانعين الرؤية عنها.

تراه يفيق ويهدأ ليعودوا لها مرة أخرى ممسكين بها وذاهبين بها إلى المستشفى للاطمئنان على شرفهم؛ لم يكن ذلك شرفهم هم بل هو يخصها هي فقط، لكنهم ذهبوا ليعودوا مثلما ذهبوا بعد معرفتهم أنها بخير، لكنها لم تكن ولم تعد بخير.

رأتْه يرحل معهم دون كلمة، ليعود بعد ساعات دون كلمة.

شعرت يومها أنه لو كان هناك احتمال لرابط بينهما يوماً، فقد كُسِر بلا رجعة، ليكتمل ذلك الكسر في اليوم التالي وهو يتحدث مع صديق له، فيسأله عن أحوال ابنته -هي تلك الجالسة بجوارها في تلك اللحظة- ليخبره أنها ماتت، بل وأخذ تعزيتها وهي بجواره، تنظر إليه صارخة بعينيها:

- «مَن التي ماتت؟ أنا هنا بجواره!»

ليشيح بنظره قائلاً:

- «ونعم بالله».

لتقول بصوت مختنق وهي تقوم من جواره:

- «البقاء لله».

عاملته كميت منذ تلك اللحظة، حتى محاولات شجاره معها بعدها كانت مثلما تتشاجر مع أي شخص لا تعرفه.

كان بالنسبة لها ميتاً منذ ذلك اليوم، لتستفيق من شريط ذكرياتها وهي تسمع همس أبناء عمومتها حولها في المقابر، نفس الوجوه، تترحم عليه وتبكي وتلعنها وهي واقفة تنظر بلا دموع ولا تلتفت إليهم.

ليخرج صوتها وقارئ القرآن يطلب السماح من الواقفين له والدعاء، قائلة بصوت يملأه البرود:

- «لن أسامحك، ليتك أحببتني يوماً مثله».

لتغادر مراسم الدفن وهي تشعر أنها لأول مرة تستطيع التنفس من أعماقها.

القصة الثالثة

لقد دبت فيه الروح وبدأ يشعر بالحياة، يرى شريط حياته وأحلامه ومستقبله يمر من أمامه.

ينتظر بفارغ الصبر لحظة اللقاء بها بعد طول انتظار.

يعد الأيام والشهور في انتظار نومه بجوارها والاستمتاع برائحتها تملأ ثنايا روحه وعقله.

يراها وهي تحتضنه وتنظر إليه بابتسامتها، يرى نفسه وهو ممسك بيدها في كل لحظة، يشعر بيديها وهي تتحسس ملامحه بنحو يكسو ملامحه.

يحسب الأيام ويتخيل السعادة في ذلك اللقاء المنتظر، وقد أتت تلك اللحظة.

إنه يخرج من سكنه الصغير لذلك العالم الواسع الكبير.

يستمع الجميع لصراخه بكل تركيز ليطمئنوا أنه بخير، يحملونه ويهدئونه، ولكن عيناه تبحث عنها هي فقط.

لسان حاله:

-لماذا جميع من حوله يبكون؟ ألا يفترض أن تكون هي الآن أول من يلتقي بها؟ أليس ذلك هو اللقاء الأول؟ أين الابتسامة التي ينتظرها؟ أليس من المفترض أن يسمع صوتها ويشم رائحتها كما حلم؟ لماذا تتناقله الأيدي والدموع واضحة في الوجوه؟

لكنه يدرك أول شيء له في الحياة:

-لقد رحلت.

رحلت مع ولادته.

عاش هو لتموت هي.

ممنوع التصوير

القصة الرابعة

بمجرد أن أفاقت من عملية الولادة القيصرية ووضعت طفلتها في المشفى، إذا بها والملامح قد كساها الرعب والخوف بدلاً من السعادة والفرحة كما هو متعارف عليه.

كانت طفلتها تلك هي مولودتها الأولى، وكانت فرحتها بها منذ علمها بالحمل ثم بكون الجنين فتاة لا توصف؛ فقد كانت تحادثها عن مقدار حبها لها وكيف ستتعامل معها، بل اعتبرتها صديقتها وليست فقط ابنتها، فكانت تشاركها الحديث في كل ما يمر عليها وهي لا تزال في رحمها.

كانت تنتظر خروجها لاحتضانها بفارغ الصبر، وقد أتت ابنتها للحياة بصحة جيدة وها هي نائمة بجوارها الآن.

إذاً، حالة الرعب تلك لم يكن لها علاقة بالطفلة، بل كانت بمن يحيطون بها. كانت الأم والطفلة سابقاً دوماً ما تلاحقهما الأحلام وتتكرر معهما بنفس المضمون ولو تغير المكان أو تفصيلة ما،

لكن يظل الحلم نفسه معهما تماماً كهذا الحلم الذي بدأ معها في سن الخامسة.

كانت ترى طفلاً ما بجوارها كانت تظنه أخاها، ولا يزال رضيعاً، يقف الجميع حوله في سعادة وابتسامة واسعة، ممسكين كاميرات فوتوغرافية يلتقطون له الصور هنا وهناك، ليتطور الحلم ويصبح في مراهقتها الطفل ابنها، والتصوير بالموبايل، وتظل ومضات الفلاش تضيء وصوت التقاط الصور مسموعاً، وكذلك نهاية الحلم تظل واحدة:

يموت الطفل بين تلك الومضات، وحين البحث بين الصور عنه تكون الصور بيضاء بلا زمان ولا مكان.

لم يفارقها ذلك الحلم منذ صغرها، واقتنعت بكونه حقيقة عندما لم تجد صورة واحدة لأخيها الراحل وهو رضيع صاحب الأشهر القليلة؛ فلم تجد له صورة ولا لعبة ولا ملابس، كما لو لم يوجد في الحياة يوماً، وتأكد لديها شعور بأن تلك الكاميرا الخاصة بأبيها اختطفت روحه داخلها حقاً.

ظل خيال أخيها يلاحقها؛ هل كان واقعاً أم خيالاً؟ حتى أتمت السن القانونية لاستخراج بطاقة رقم قومي، خرجت وهي تستلم شهادة ميلاد ووفاة له، لتتأكد أمام نفسها أن أخيها كان حقيقة في الحياة لشهور وليس خيالاً داخل عقلها.

ها هي الآن تعيش بداية الحلم، نائمة وطفلتها بجوارها، والجميع مبتسم بين ضاحك ومتهامس، وومضات الفلاش تضيء وجه طفلتها التي تخشى النظر إليه حتى لا يفقد الحياة بين صورة وأخرى.

تحاول جمع شتات صوتها بين الألم والمسكنات والجراحة لكي تصرخ فيهم وتقول:

-كفى، أبعدوا هواتفكم عن طفلتي، أريدها على قيد الحياة.

لكنها تدري أنه لن يفهم أحد ما يدور بداخلها، ولا لماذا الرعب يكسو ملامحها، حتى زوجها كان حائراً في نظراته لها، حتى قالت له إن ومضات الفلاش قد تُصيب بصر صغيرتهم، فرأى بعض المنطق في خوفها وطلب من الجميع الكف عن التصوير، ومن يصور فلا يضيء الفلاش.

لم يهدأ قلقها مع مرور الأيام، بل ظلت بعد كل تصوير يحدث لطفلتها من آخرين، يقف قلبها حتى تطمئن على تنفس صغيرتها فتعود هي للحياة مرة أخرى.

كانت تخاف حتى من النظر إلى أي صورة خوفًا من أن تراها بيضاء كما كان يحدث في حلمها، لكن مع مرور أول شهر من

ولادتها وجدت أنها بحاجة للتمسك بذكريات مع طفلتها، لا حلول أمامها سوى المواجهة، يجب عليها أن تواجه خوفها فقررت أنه مع كل صورة تلتقطها بنفسها أو بواسطة أحد لصغيرتها ستقول:

-يا رب فقط.

هو وحده القادر على كل شيء.

لن تنسى أول صورة التقطتها بنفسها لها ولطفلتها معًا، كم ارتعشت يداها وبكت وضحكت وتأكدت من تنفس طفلتها بعدها، وكم الخوف الذي تملكها قبل أن تنظر للصورة لتضحك في النهاية وهي تمسك بالذكرى الأولى بينهما.

لم يختفِ ذلك الخوف من داخلها يومًا على الرغم من مرور السنوات وولادة طفلها الثاني، بل شمل الخوف كلاهما وظل بداخلها رعب في كل صورة أن تكون الأخيرة.

القصة الخامسة

من دفنت يومها؟

كان ذلك هو السؤال الذي شغلها لسنوات، وصلت إلى ٢٠ عامًا كاملاً.

البداية كانت وهي في الصف الرابع الابتدائي عندما رحلت جدتها عن الحياة.

لم تكن تلك صدمة بالنسبة لها، وبرغم صغر سنها إلا أنها كانت تعلم بكم الأمراض التي تعاني منها جدتها، ومن الطبيعي أن تكون تلك النهاية، حتى أنها في ذلك اليوم رفضت أن تودعها وتلقي عليها نظرة الوداع قبل مراسم الدفن، رفضت أن تتغير صورة الجدة المليئة بالصحة رغم المرض، ملامحها ذات الحياة في كل تفاصيلها، رفضت أن تغيرها بتلك الملامح الباردة الخالية من الروح بعد الموت.

مر يوم الدفن وما تلاه من أيام العزاء والحزن، رأت فيهم أخوالها وخالتها يعودون لحياتهم مرة أخرى مع فارق زمني واضح، بعضهم عاد للحياة بعد أيام العزاء الثلاث، وآخرون بعد عام على أقصى تقدير، ولكن والدتها لم تعد.

سنة اثنان خمس عشر ووالدتها لم تعد.

منذ ذلك اليوم رأتها تذبل أمام نظرها بالتدرج، رأت كيف انطفأ بريق عينيها يومئذ، ولم يعد.

انتظرت رجوعها مرة أخرى دون جدوى.

رأت توالي الأمراض والتعب على والدتها، دوت إنذار سابق اختلفت الأمراض بين ضغط، أمراض جهاز تنفسي، أمراض جهاز هضمي، أمراض غير معروفة، تعب بلا سبب، وبلا علاج ولا نهاية.

انتظرت رؤية البريق يعود لعيْني والدتها مرة أخرى، انتظرت أن تعود لحياتها السابقة.

تذكر كيف كانت والدتها رمزًا للنشاط والحيوية، كيف كانت مفعمة بالحركة، كيف كانت لبقة في الحديث و مهندمة المظهر قبل أن تدخل في مرحلة الصمت ثم الكلام في أقل قدر ممكن.

انتظرت أن تراها تفرح بنجاحها، فلم يكن رد الفعل كالمتوقع.

فكرت لو فعلت السوء بنفسها ربما تتذكر والدتها أن لديها ابنة وأنها على قيد الحياة، ولكنها أيضًا لم تفعل شيئًا.

كبرت الطفلة وتخرجت وتزوجت وأنجبت، ولم يعد البريق مرة أخرى لعيْنيها، ليظل نفس السؤال يتكرر داخل عقل الفتاة:

-من الذي دُفن يومها؟

القصة السادسة

مسامحاك

-البقاء لله، شادي مات.

-شادي مين؟ شادي؟! طب ازاي وامتى؟

-من شوية، جاله ذبحة صدرية ومتلحقش مات.

كان تلك محادثة كجرس إنذار آفاق سما، فادي الذي يبلغها بالخبر طالما كان الصديق المقرب قبل أن يتحول لألد أعدائها بعد أن غدر بصدقتها وسبب لها آذى احتاجت لسنوات لتعبره.

وكان شادي رفيقه في ذلك المشوار المؤذي لها، ولكنه الآن توفى.

توفى وهو دون الخامسة والثلاثين.

لم تفق من أفكارها سوى عندما رن أشعار رسالة أخرى من فادي

-ممكن لو اتسببت في آذى ليكِ من قريب أو بعيد تسامحيني، محدش ضامن عمره، الموت بيجي في لحظة.

وجدت نفسها تعيش في بحر ذكريات يمر من أمام عينيها بلا توقف، سنوات صداقة لحقتها سنوات تعب نفسي لم تصلح لحد اليوم، مر ما يزيد عن عشر سنوات ولم تنسى، والان يطلب السماح، هل هي قادرة على ذلك بحق؟

ظلت عينيها على الرسالة و عقلها في الماضي و قلبها في الحاضر يعتصر الألم كما لو حدث الان، لتكتب يدها دون أن تشعر

-مسمحاك و مسمحاه.

لكن يداها وقفت قبل أن تكتب لن أستطع النسيان، أرسلت ردها و أغلقت الهاتف و ظلت تنهمر الدموع من عينيها وهي تردد مسامحاكم بس مش هنسى، تذكرت كل من أخطأ في حقها يوماً، واكتشفت أنها قادرة على مسامحة البعض، ولكن هناك آخرون وقفت قدرتها في السماح أمامهم، أمام أفعالهم.

هي تعلم أنها اخطأت كثيراً فهي ليست بملاك، لكن خطأها كان لشخصها لا لأحد، أما هؤلاء هم من اخطأوا او يمكن القول أنهم دمروا حياتها، برغم القرابة وصلة الدم إلا أنها لم تستطع.

غاصت في نوماً عميق والدموع تكسو وسادتها، وهي تقول بصوت خافت عند الله تجتمع الخصوم.

القصة السابعة

في طريق خاوي من السيارات والناس على غير العادة، أنها تسير بخطى تقاوم بها تلك العاصفة البارد الآتية عكس اتجاه سيرها لتبطئ من حركتها بس تحاول خلع قدميها من الأرض لتعودمن حيث أتت ولا تكمل سيرها.

كانت ذاهبة لمقهاها المفضل لتكتب شيء أو تقرأ رواية كعادتها، فهي تجد الراحة دائما خارج المنزل و نادراً ما شعرت برضا وسلام نفسي في مكان، وحينها تأخذه على الفور سكن لها في ساعات استيقاظها طوال اليوم، لكن اليوم العاصفة شديدة وهي تسير عكس التيار كعادتها في الحياة مما شعرها أن ربما تكون تلك علامة ما لشيء لا تفهمه، هل عليها أن تقاوم الحياة أم تستسلم؟

تدرك كم الوحدة التي تحاصرها؛ مهما كثر المحيطون بها، كانت الوحدة حاضرة معها في كل لحظة.

انتظرت في كل وقت لنجاحها فيما تفعل أن يحتفي بها أي شخص ، لكنها دائمًا ما وجدت الاحتفاء باردًا، مؤقتًا، يغلفه إطار الواجب، لا فرحة من القلب حتى من أقرب المقربين.

كانت مختلفة حتى في اهتماماتها عن المحيطين بها.

ليظل سؤال واحد يتردد في عقلها:

-هل هي إلى هذه الدرجة منبوذة؟ غير مستحبة؟ أم أنها مختلفة ؟!

شبعت من الجمل المتشابهة من نوعية:

- افرحي بنفسك، لا يهم غيرك.

-محدش بيفرح لحد.

-أنتِ مش لوحدك، فلان وفلان وفلانة معك.

ولكن في الحقيقة لا، هي وحيدة، ووحيدة للغاية.

تحتاج فرحة من القلب في عيون أحد يشعرها أنها هنا، أنها تحيا.

تتجه الآن بمفردها -كالعادة- إلى مكانها المفضل، لتكتب ما يجول في خاطرها لتضمه وسط مجموعتها القصصية الجديدة.

إنها كاتبة ضمن الآلاف الذين يكتبون كل يوم، وهي ضمن الآلاف أيضًا الذين تنشر أعمالهم بشكل أو بآخر.

جلست أخيرًا في مكانها المحفوظ هناك بعد أن قاومت الهواء البارد في الطريق المصحوب ببعض الأتربة.

العاصفة عنيفة في الخارج و داخلها.

لدرجة أن تردد لذهنها:

-هل تكون تلك العاصفة الباردة نداءً للتراجع عما تفعله؟ هل هي علامة لِتتوقف عن الكتابة؟

فكرت وهي تقاومها أنها بالفعل تقاوم كل ما يحيط بها بنفس القوة، كل من تدخل في حلمها منذ سنوات، كل من رأى ما تفعله مجرد تفاهة غير مجدية، أو أنها إضاعة للوقت غير مربحة -بحكم أن الكتابة لا تعد مصدر دخل-.

تذكرت كل الأقوال والآراء في طريقها، ووجدت أنها بحركة لا إرادية بمجرد جلوسها أن دفترها والقلم أصبحا أمامها وهي لا تزال تفكر:

- هل تستمر في حلمها أم تستجيب للعلامة التي فهمتها؟

وجدت نفسها تفتح ذلك الدفتر وشرعت في كتابة سؤال على رأس الصفحة:

"لماذا أكتب؟"

وأكملت أسفله في استعراض كل الآراء التي سمعتها يومًا

-للبحث عن الشهرة.

-للبحث عن المال.

-لتوصيل رسالة.

وغيرها من الآراء، حتى أدركت أن ولا واحدًا منهم يعود لها؛ هي ليست أحداً من هؤلاء.

وضعت علامة (إكس) على كل ذلك لتقلب الصفحة وتبدأ بالكتابة...

رغم كتاباتي السابقة، إلا أن لحظة مواجهة نفسي قد حانت الآن، يجب علي أن أجيب أمام دفتري ذلك اليوم عن سؤال:

لماذا أكتب؟

قبل الإجابة عن أي شيء آخر، أكتب لنفسي لأشعر أني هنا على قيد الحياة؟ لا يهمني من سيقرأ ما أكتبه، وإن كنت أنشره بالفعل، وذلك لأنني أسجل أفكاري ورأيي ومشاعري لأشعر بوجودي لا لشيء آخر.

لم أحظَ بأصدقاء أو أهل يفهمون ما أقول أو يدعمونني أو حتى أحظى منهم بمشاركة الحياة بحلوها وتعبها.

لم أشعر يومًا أن هناك من يستطيع استيعابي مثل كتاباتي تلك، ونشري لها ليعلم الجميع أني هنا فقط، لأترك أثرًا يظل موجودًا بعد رحيلي، لا طلبًا للمدح أو الذم، فقط لأصبح ذكرى.

أدرك الآن أني أخشى النسيان، أخشى أن أُنسى يومًا أو أن أنسى أنا شيئًا يومًا، لا أخشى الوحدة فقد اعتدت عليها منذ ولادتي لكني أخشى أن أفقد ذكرياتي، أو يأتي يوم بعد موتي ولا أحد يذكرني.

لهذا أكتب، و سأستمر في الكتابة إلى أن يشاء الله.

تركت القلم وتوقفت لتفهم نفسها وتفهم ما خطته يداها.

لأول مرة تشعر أنها واضحة لتلك الدرجة، وجدت ضالتها الآن لتلك المرحلة، تلك الضالة التي تجعلها تقطع الورقة من الدفتر وتحفظها منفردة في حافظة أموالها لتذكرها دائمًا بمن هي ؟ ولماذا لا تستطيع التوقف عن كتاباتها بعد الآن؟.

القصة الثامنة

ذكريات الروائح

دائماً مكانه الروائح هي نافذتهما على الحياة، ميثاق سري اتفقا على توقيعه منذ معرفتهما ببعضهما البعض قبل حوالي عشر سنوات أو يزيد من الآن.

كانا حينها في أول سنوات الحياة الجامعية بأحد معاهد القاهرة الجديدة.

لم يشغلهما ماذا سيدرسان، فالنجاح لا يقاس بالدرجات، ولكن بدفع المصروفات والعلاقات مع الموظفين والمعيدين.

كانت أول رائحة جذبتهما وفهما منها لغة تواصلهما معاً كانت لدخان آتٍ من إحدى قاعات الأدوار العليا التي اتخذا من سلالمها مقعداً خاصاً لهما ولأصدقائهما يبتعدان فيه عما ينظرون إليهما بازدراء أو بتعليقات تثير الشجار.

هما وأصدقاؤهما ممن لا يخفون شيئاً ولا يفعلون شيئاً في الخفاء، يتمتعون بالشجاعة التي يسميها البعض في بعض الأحيان وقاحة أو قلة حياء، برغم من كونهما لا يفعلان شيئاً مزرياً سوى أنهما على طبيعتهما فقط، مما كان يشكل المشاكل معهما ومع الطلاب

مدعين المحافظة والتشدد، والموظفين مدعين الفضيلة، وإن كانت لا تخلو أعينهما من نظرات إعجاب وسط تلك الشجارات لما يملكان من شجاعة للمواجهة لا يمتلكها الآخرون للتعبير عن أنفسهم، وأحياناً كانت تكون تلك النظرات تصل لمرحلة الحسد لأنهما لا يتمتعان بذلك الإطار الذي يقيد الآخرين.

فهم يفعلون ما يحلو لهم وهم مقتنعون به، متحملين نتيجة قراراتهم تلك أياً كانت.

ليسوا مثل هؤلاء الذين لا يستطيعون كسر أية من حلقات الحياة والعادات والتقاليد التي لُفّت حول أعناقهم إلى درجة الاختناق.

كانت تلك الرائحة مميزة، فهي جديدة نوعاً ما، وفهموا بذلك الاتفاق الضمني أنها لمخدر جديد.

بمجرد أن وصل دخانه ورائحته إلى أنوفهم حتى أدركوا ذلك، فذهبوا باحثين عن مصدره ليجدوا أحد العاملين بالمعهد يجلس في إحدى القاعات ويدخنه.

إنه هو موظف الأمن الذي يظن نفسه وزير داخلية المعهد، والذي يفتح صوته على كل من لا يروق له ليثبت أنه صاحب سلطة، ولا يتعدى كونه حارس بوابة.

إنه من يلقي التهم ويقف خلفه باقي العاملين بالمعهد حتى وإن لم يروا شيئاً مما يدعي حدوثه، ولكن يكفي أنه هو رأى.

وها هو الآن يفعل المخالفة الأعظم شناعة داخل محل عمله.

اكتفوا أن يروه وراءهم لينفجروا ضاحكين ويرحلوا، تاركين خلفهم شعلة من النار كافية أن تحرق المبنى بالكامل.

تحول إلى كابوس يطاردهم ليمسكوا عليهم أي خطأ، فلا يجدون، بسبب علمهم أنه يبحث وراءهم ومعرفتهم بما يدور في خاطرهم، فأصبحا يلعبان معًا لعبة عسكر وحرامية، وينتهي الحال كل مرة بنظرة غضب منه وضحكة عالية منهما.

أما ثاني رائحة مميزة لجماعتهم فكانت رائحة شوارع وسط البلد، المكونة من خليط دخان الشيشة بالمقاهي ودخان المطاعم المختلفة، ورائحة الكتب المرصوصة على الأرصفة لدى الباعة.

وإن كانت رائحة المخبوزات التي تلوح من ذلك المحل الشهير هناك كانت كافية لجذبهم إليه كالمغناطيس، فيشتريان منه الباتيه الطازج والآيس كريم الأشهر في تاريخ وسط البلد، ليذهبا إلى الرائحة الثالثة وهي الأكثر حبًا بالنسبة لهم، وهو كورنيش النيل.

يمتلكان هناك مكانًا سريًا وهو الأقرب إلى المياه، يسلكان للوصول إليه بعض الخطوات الوعرة، فينزلقان عن الممشى الموجود بالأعلى ويستقران بجانب النهر؛ لتدخل رائحة المياه داخل عقولهم

ويروا شفافية النهر، وربما سمكة تتحرك نحو السطح إن لم تكن هناك حركة للمراكب قريبة، فتكون تموجات المياه هادئة لدرجة الثبات.

وعندما يرفعان نظرهما يجدان برج القاهرة أمامهما تمامًا، لينتقل الحوار بينهما إلى كرة القدم والنادي الأهلي، متذكرين رائحة الشماريخ التي كانت تملأ الاستاد في آخر مرة زاراه فيها ليشاهدا مباراة الأهلي والزمالك قبل قرار منع الجماهير.

لم تخبره يوماً عن رائحة عطره المميز التي لا تفارق ملابسه، كما لو أنه يغسل ملابسه فيها، ولا فقط يتعطر قبل النزول.

عشر سنوات كاملة والرائحة لا تتغير، حتى أنها خزنت في ذاكرتها أن تلك هي رائحته هو فقط، وهي كان لها طابع خاص في عطرها المكون من تركيبة تعطي إحساس المرح والعمق معاً، ولكن ها هي الآن تمشي في نفس الشوارع بعد مرور ثلاث سنوات على الفراق، تتذكر مع كل رائحة ذكرى حدثت بينهما.

لم يكونوا يوماً أكثر من أصدقاء، لم تجمعهم علاقة حب، وجدوا في بعضهم الرفيق والصديق لا الحبيب.

رأوا في بعضهم الصديق المخلص والأخ الذي لا داعي من الخجل منه، فلم يكن اختلاف النوع بينهم حائطاً لمنع أي حديث مهما كان، مثلما كان يقول البعض، فهم على علاقة غير مفهومة، حتى عندما ارتبط كل منهما بآخر، لم يفهم أي طرف لماذا وكيف هم هكذا، وبالتبعية لم تكتمل أي علاقة بوجود تلك الصداقة، ليختار هو في إحدى المرات علاقته الخاصة على صداقتهما التي كانت هي المساحة الآمنة لها في حياتها، تركها وحيدة كما كانت قبل ١٠ أعوام.

لم تمحُ تلك السنوات الثلاث من الفراق وجوده، فهي تعتبره أخاً لها كأخيها المتوفى، ليختفي ويتركها بلا أخوة، ترى أنها لا تستحق أن يكون لها أخ من الأساس.

ظلت تتذكره مع كل رائحة تمر عليها وتمنع شعور الحنين يجتاحها أو دموعها التي تود الهرب من عينيها.

لا أحد يفهم حقيقة كونه كان أخاً لها فقط.

كان هو الأخ الذي عاشت معه الذكريات التي لم تستطع أن تعيشها مع أخيها الحقيقي لأنه رحل وهما أطفال.

وبرغم من كونها في علاقة الآن أشبه بالرسمية مع حبيب يحاول إرضاءها وهي تحبه كحبيب وربما زوج في يوم من الأيام، إلا أنها دائماً ما تفكر في أخ لم يعد موجوداً بعد الآن.

القصة التاسعة

الدم بالدم

داخل مدينة يكسوها طابع القرى، كانت المنازل متجاورة من الطوب الأحمر والطرق الممهدة الممتدة على طول النظر لم تغير من طباع أهل تلك المنازل في شيء.

كانوا كما هم، كثيري الثرثرة فلا يتركون شخصاً دون حديث في ظهره، يحملون بعضهم البعض السوء كما تحمل الجمال بالمتاع للسفر، فلا طفل أو شاب او عجوز ذكراً كان أو أنثى بلا نميمة، حتى عرفت بمدينة النم وسط المدن والقرى المجاورة لها.

كانت شهد من سكان تلك المدينة، فتاة على أعتاب العقد الثاني من العمر، تعيش مع والدتها و أختها الصغرى ذات التاسعة بعد موت أبيها قبل ثلاث سنوات.

كانت والدتها رفضت الزواج من أخ زوجها وأن كان ذلك العرف هو المتبع بين أهل المدينة ألا أنها رفضت بشكل قاطع دخول رجلاً مهما كان عليها وعلى بناتها، وهي على علم بما سيحدث نتيجة ذلك، فلا أرث لها ولا لبناتها فقط ذلك المنزل هو كل ما تملك.

لم تفيق الأم من ضغوط العم للزواج بها حتى بدأت ضغوط زواج ابن العم من شهد ابنتها، شعرت أنها في حرب بلا جدوى ولا دعم ولا مساندة، تسير في الشوارع تسمع همس المارين فيها و في بنتها، يتغامزون في رفضها الزواج بأن لها شوق في آخر، ورفضها زواج ابنتها لأن تعلم بفضيحتها ولا تريد أن يكشف سترها.

كان ابن العم هو من أذاع ذلك الحديث للضغط عليها لترضخ، حاولت أن تمنعهم ولم تفلح فهي تعلم أنها في مدينة النم، ومع كثرة الحديث أصبحت هي وبناتها كالمنبوذين، لا يعاملهم أحد ولا يتعاملون مع احد، حتى شراء مستلزمات المنزل أصبح بحاجة للسفر للقرى المجاورة للاتيان به، مما أوسع مسار الهمس ليتحول لحديث صريح، عالي، مسموع.

-انها تسافر لتلاقي للعشيق المزعوم.

كانت وصلت لحالة من الاستسلام للاستماع لتلك الاشاعات دون رد، فلا تستطع ترك المدينة ولا الحياة بها.

حتى جاء ذلك اليوم المشئوم.....

عادت الأم من سفرتها لجلب أغراض المنزل، تجد ابن العم خارج من المنزلها يحاول هندمه ثيابه وهو ينظر لها مبتسماً ابتسامة صفراء بها الكثير من الشماتة، لترهول للداخل لتجد ابنتها شهد ذات الوجة البريء والبشرة البيضاء تحولت لوجه مشوهه مليئ بالكدمات والدم يفيض منه، ولتجد شعرها الاسود الطويل مقطع حولها وهي ممددة على أرضية صالة المنزل وهي ترتدي جلبابها الوردي ذو الورود البيضاء ممزق والدم ينهمر من بين ساقيها بلا توقف، يصل الدم لقدم الأم وهي واقفة في صدمة تحاول تكذيب ما ترى، غابت الحياة عن طفلتها لقد رحلت عن دنياها، فلا نفس يدخل أو يخرج من تلك الجثة الممدة أمامها، فقط الجماء تحيطها كل صوب.

تبحث بنظرها عن طفلتها الاخرى، فترى قدمها ممدة خارج الغرفة المجاورة لها، الباب موارب وهي لا تملك القوة لتتحرك نحوه.

غطت يدها بدم شهد و خرجت من المنزل وهو يقطر من ثوبها و يدها و قدميها وتوجهت للعم، لم تنطق بكلمة فقط غطت وجهه بدم شهد، وسط نظرات أهل المدينة وهم يقولون تلك المرة

-قتلت بنتها بعدما شاهدتها بالجرم المشهود.

لكن العم كان ينظر لها والدماء على وجهه وثوبه ولا ينطق، فقط يبتسم لها بتشف واضح في نظراته، لتمسك بالكوب الذي أمامه

وتقطع به شريان رقبته في حركة مباغتة، فتنفجر الدماء في كل مكان لتلطخها و تملىء المكان في لحظة واحدة، فيكسوا كل شيء اللون الأحمر القاني، وتفوح رائحة الدم في كل مكان ليأتي ابن العم و يطلق عليها طلقة وسط حالة الذهول تلك لتسقط هي الاخرى على الأرض بجوار العم، وتختلط دماءها بدماءه دون فرق بينهم.

القصة العاشرة

البداية من النهاية

-انت طالق.

قالها بهدوء غير مناسب لما يحدث، لقد أنهى حياة زوجية امتدت لخمسة عشر عام، أنهى حياة أسرية لطفلين لم يصل الكبير منهم للعاشرة بعد والآخر دون السادسة.

وقفت مها مذهولة، نعم هي من كانت تهتف منذ لحظات طالبة الانفصال لكن لم تتوقع أن يستجيب، فطالما طلبت و طالما رفض لماذا استجاب الآن.

كان بداية الشجار كالمعتاد في تلك الشقة التي جمعت مها و يوسف منذ أول ليلة بعد زفافهم والي لحظة الطلاق الآن، السبب هو نور صالة المنزل.

نعم.

فهما معتادين الشجار بسبب خوفها من الظلام الذي لم تستطع العلاج منه على حد قول يوسف، و كرهه هو للنور المستمر و حبه الدائم للظلام الذي لم يغيره ولا تعتاده مها.

كانت تلك هي المشكلة التي يجب إشعالها مرة أسبوعياً على الأقل بجانب أي خلاف أسري آخر، في بداية الزواج كان الكل يرى كم أن مشكلتهم تافهه وأن عندما يرزقا بالأطفال سوف يدركان حجم ساذجة مشاكلهم.

ومع تأخر الإنجاب عاماً تلو الآخر أصبحت تلك هي الحجة للصراخ و التنفيس عن غضب الشعور بالنقص الذي يشعران به مع كل زيارة عائلية أو حتى للأصدقاء، حتى أراد الله و حصل أول حمل ووصل ابنهم الكبير مالك بعد خمس أعوام من الزواج لم تدم فرحتهم به، فضغط الحياة الجديدة جعل استمرار الصراخ شيء حتمي ولابد من سبب له فليكن نور الصالة هو السبب الدائم، يوسف يغلقه لتشعله مها وينتهي الحال بصراخها و لومها الدائم له بعد الشعور بها ولا الاهتمام بطفلهما معها وأنها لا تملك من القوة ما يكفي لذلك وحدها.

ليبدأ الضغط الجديد بعد عام واحد من ميلاد مالك بأن تأتي له بأخ أم أنها معيوبة على حد قولهم، فتدخل دوامة الأطباء مجدداً لكن تلك المرة و مالك على يدها، ليقول لها الطبيب

-انتظري ليكبر و تستعيدي جزء من صحتك اولاً.

لكنها لا تسمع سوى همساتهم في أذنيها، و طلب أهل يوسف بحفيد آخر أو زواجه من اخرى سريعة الانجاب، متناسين حبهم

لبعضهم الذي دام لأربع سنوات كاملة وهي فترة دراستهم معاً لتنتهي قصتهم بالزواج الذي حسدهم عليه كل الأصدقاء والمعارف.

ليتأخر الحمل الثاني عام وراء الآخر، ليحدث بعد أربع أعوام من ميلاد مالك ليأتي نور، وينقطع معه حلم الإنجاب مرة أخرى.

لم تخبره معا بذلك، خوفاً أن تركها فظل شعور النقص شبحاً يحاوطها في كل مكان، لم تملك القوة النفسية لتربي الاثنين بمفردها، يوسف يعمل طوال اليوم ليوفر المال، وهي بلا عمل بعد نور لتوفر الرعاية، لكنها بحاجة للرعاية أيضاً و يوسف كذلك.

ظل كلاً منهما داخل شرنقته منتظر الآخر ليراه و يخرجه لدائرة اهتمامه مرة أخرى بلا طلبات منزلية وإحساس بأن هناك شيء ما ناقص في البيت، ولكن لا من مجيب أذاً أنه نور الصالة يصلح كشجار في أي وقت ومكان.

دخل يوسف من باب الشقة ليجد المنزل غير مرتب، اللعب بكل مكان وهي تذاكر لمالك دروسه وما ان رأت يوسف حتى صاحت فيه أن يطلقها فهي لا تقوى على كل ذلك بمفردها، وهو لا يساعد بشيء بل أنه يأتي للمنزل لينام كما لو أنه نزيل بفندق ما.

نظر لها و هو يعلوه التعب من وظيفة لا يجزي راتبها، وعمل اضافي على السيارة لا تعلم هي عنه شيء فهو لم يود أخبارها حتى لا تحزن أو تأسى لحاله، فأخبرها أن ساعات العمل أصبحت ممتدة فقط الي ان يشعر أن عليه النوم ليستطيع الاستمرار، فيصعد لبيته لينام و يستيقظ للعمل مرة أخرى.

لم يشعر بشيء سوى أنه ينطق بكل هدوء

-انتِ طالق.

ويتركها و يترك المنزل مرةً أخرى و ينزل إلي السيارة و يجلس خلف عجلة القيادة راجعاً الكرسي للخلف، مستلقياً عليه محاولاً فهم ما حدث، تاركاً مها بالاعلى صامته وسط صراخ مالك و نور لعلها تدرك ما حدث.

القصة الحادية عشر

الفراغ

وقفت أمام مكتب الصحة وهي لا تستوعب ماذا تمسك بين يديها؟ ما تلك الورقة الصفراء؟هل هذه هي الدليل على نهاية حياة من آتت بها لهذه الدنيا يوما ما؟.

كانت حور تمسك بشهادة وفاة والدتها، كانت متماسكة قبل أن تستلمها، وما إن لمستها يداها وخرجت من المكتب حتى أصابتها قشعريرة من أول رقبتها حتى آخر ظهرها.

شعرت أن الجميع ينظر إليها، رأت في أعينهم نفسها عارية تماماً.

لا تعرف أحد منهم على الإطلاق فما هم سوى عابرون طريق جعلهم القدر يمروا من أمامها في تلك اللحظة.

لكنها رأت في وجوههم نفسها، رأت فيهم وفي كل نظرة منهم عيونهم وهي تأكل من روحها قطعه قبل جسدها.

برغم من ارتدائها الحجاب إلا أنه لم يحجب عنها أعينهم التي دخلت إلى أعماق روحها. حاولت أن تلملم شتات روحها وجسدها

من أمامهم بل ظنت في لحظة أنها حقا بلا ملابس وبلا ساتر يسترها منهم.

لم يمض على وفاة والدتها سوى يومان فقط ، يومان غير كافيين على استيعابها لتلك الصدمة لتتوالى عليها الصدمات الأخرى، ليظهر لها الوجه القبيح، بل الأقبح من الجميع في ذلك الشخص.

ذلك الشخص الذي من المفترض أن يكون هو من يواسي ويشبع مكان من رحلت إلا أنه لم يفعل شيء جديد قط، فهي تعلم مسبقا بكل سوءاته، لكن أليس من العار أن يرفع الستر، ويكشف السوءه ونحن من المفترض في حداد.

كل ذلك يجول بخاطرها وهي تسير في الطريق من مكتب الصحة لمنزلها غير قادرة على ترك تلك الورقة من يدها ووضعها في الحقيقة.

تخشى على نفسها أن تفقد هي الأخرى بريق عينها مثلما فقدته والدتها بوفاة جدتها.

تذكرت وهي تمشي بالشوارع كيف كانت جالسة داخل المسجد وبجوارها ذلك النعش الذي يحمل الجثمان لمثواه الأخير، كيف كانت حالة الإنكار التي عاشتها، تعلم جيدا أن والدتها رحلت، لكنها تنكر تلك الوحدة والفراغ التي تشعر به من داخلها بعد ذلك الرحيل.

ترى في وجوه الموجودين حولها ما يقطنون داخلهم، كما لو أن ذلك الستار الحاجب الذي يرفع عن الميت قد رفع عنها فلا تدري من منهما حقا التي ماتت؟

تتذكر كيف أسندت رأسها على ذلك النعش ليعود أمام أعينها ذلك اللقاء الذي جمعهما قبل ثلاثة أيام من الوفاة وهي تعطيها آخر مؤلفاتها لأمها لتطلب منها عندما تكتب كتابها الجديد أن تذكرها في الإهداء القادم.

ليكون ذلك آخر طلب منها قبل تلك لحظة، قبل اللحظة التي انتهوا فيها من صلاة الجنازة وترى النعش تحرك ليصل لمكانة الأخير.

أفاقت حور وهي على حافة الطريق والسيارات تجري بسرعة أمامها من شريط الذكريات ذلك، وكانت لا تزال ممسكة بشهادة الوفاة حاولت استجماع أقواها لتستمر في الحياة من حيث توقفت.

ولكن طرأ في عقلها سؤال آخر وهي تعبر الطريق...

كيف لها أن تكمل من حيث توقفت! هل الحياة تتوقف بموت شخص ما أم أنها تنتقل من مرحلة الونس إلى مرحلة الوحدة الكاملة أو مرحلة الفراغ، فكل شيء يصبح خاوياً تماما من الروح

يظل هناك دائما فراغ يبحث عما يشغله، عن قطعة مناسبة تملأه، ولكن لن توجد تلك مرة.

القصة الثانية عشر

العودة

كان ينتظر أن يمضي الوقت لعله ينسى من رحل، لعله يتذكر كيف كان قبل ذلك الوداع؟

على رصيف تلك المحطة المشئومة، ترك قطعة من روحه في آخر قطار خرج منها دون عودة، رحلت حبيبته لتحيا مع آخر يكون قادراً على أخذ أي قرار في حياته، أي شخص لا يكون مثله، لتنتهي حياتها قبل أن تصل له.

يتذكر كيف سمع خبر تصادم ذلك القطار نفسه بعد ساعة واحدة من رحيله أمام عينه، لتتوالى الأخبار عن عدد المصابين ثم المتوفيين ليجد صورتها في نشرة الأخبار بين الضحايا الملقين على الأرض، كانت فاتحه عينيها له، رغم خروج الروح من جسدها إلا أن في تلك الصورة التي أذاعها التلفزيون قبل قليل، كانت عينيها مفتوحة، تنظر لروحه هو تحديداً -هكذا شعر- كما لو أنها تبلغه رسالة مفادها

-ان لم تكن أنت فلا أحد.

ظلت تلك الصورة عالقة في ذاكرته طول السنة الماضية، سنة كاملة لم يقوى على الخروج من غرفته وممارسة حياته، لا عمل ولا أسرة ولا حياة من الأساس.

لكن إلى متى؟

كان ذلك السؤال هو ما يتردد من والدته التي تعلم مدى جرح ابنها، سواء في حبه أو في فقده.

كانت تجلس أمام التلفزيون تتابع مسلسلها المفضل للمرة الخمسة وستون بعد المائة لن أعيش في جلباب أبي حتى رأته يخرج من غرفته و يجلس بجوارها على نفس الأريكة، لم ينطق بكلمة وهي كذلك لكن اعتلت شفاها ابتسامة و مدت يدها له لتحتضنه بسعادة من عاد من سفر بعيد.

أكمل معها تلك الحلقة وهو بين أحضانها، لم يتحرك كطفل صغير عاد إلى أمه بعد فراق يوم كامل، حتى انتهت الحلقة و نظر لها بحب و وحشة حقيقية قائلاً

- **أنا آسف على كل ما حدث.**

لم تجيبه بل اكتفت بقبلة على جبهته، ليتوجه بعدها لغرفته مرة أخرى، لكن تلك المرة ليبدل ملابسه ويخرج للشارع لأول مرة منذ ذلك الحادث.

قرر أن يزور قبرها، يحادثها بكل ما دار في قلبه طوال الفترة الماضية.

وصل الي المقابر وجد بابها مفتوح على مصراعيه، شعر بها اشارة كما لو كانت تناديه، أو تنتظر مجيئه. دخل من البوابة و شعر بروحها تحوم حوله، وجد الدفء يسيطر عليه رغم برودة الجو، ليس سقيع ولكن كان هناك نسمة باردة تحولت لدفء حضن محب، مشتاق.

جلس أمام مقبرتها، لم يبكي كما توقع، وجد نفسه مطمئنة، تحدث معها بصوت مسموع الي حد ما

- **اشتقت اليكِ، كنت أعلم أنكِ ستعودين ولن تتركيني لآخر كما قلتي حينها، لكنك رحلتِ حقاً، أعلم أني مقصر معك منذ البداية، لم تكوني يوماً على وفاق مع أمي، وأنا لم انصفك يوماً، لكن أمي ليس لها سواي في تلك الدنيا وأنا كذلك، حاولت أن افهمك انكما أهم وكل ما أملك، ولم أستطع.**
  والآن انتِ رحلتي وأنا عدت كما كنت قبل لقائي بك، وحيد، صامت بل جد عليهم مكسور.

فلتت دمعة من عينيه تركها تجر خلفها دموع ساخنة لعلها تطفئ نار روحه تلك.

شعر براحة غريبة بعد كل تلك الدموع أمامها، كان الليل كان بدأ في فرض وجوده حوله، شعر برغبة قوية في النوم، قاومها حتى وصل لسريره ليستسلم لتلك الرغبة أخيراً.

كان على لقاء معها في حلمه، كانت تنتظره كعروس في ليلة زفافها، بذلك الفستان الأبيض والطرحة الممددة على الأرض خلفها، تنظر له بضحكة حب و اشتياق لحبيب غاب سنوات، وفرحة تأتي لأول مرة، قالت له بصوتها العذب

-أعلم أني لم أكن سوى لك، لا تحزن لفراقنا فبيننا معاد الي حين، سأنتظرك كما أنا الآن، بنفس الفستان الأبيض ذلك، لكن الي موعدنا هذا، احيا فأني معك، لا تمت لأجلي، أحيا لي ولك.

أخذت بيده و تجولا معاً في تلك الحديقة الواسعة التي كانا يقفان فيها حتى شعر بلهيب الشمس يخترق عينيه.

فتحهما مجبراً، باسماً، وجد الشمس وقد عبرت روحه قبل غرفته، نشاط غريب تملكه، لبس مسرعاً وخرج من الغرفة ليجد والدته تفطر وحيدة في المطبخ الصغير الذي تهتم بكل تفاصيله عكس باقي المنزل كما لو كان هذا هو منزلها فقط.

شاركها الفطار وهي تنظر له بحيرة قوية، هو لم يكن يفطر أبداً في السابق، بل كانا يتشجارا دائماً لذلك السبب، لكنه يأكل الآن بشهية مفتوحة حقاً.

أنهى الفطار و قبل رأسها وخرج.

ظل يمر في الشوارع بعيون جديدة، يرى تفاصيل مختلفة، ليست فقط تجديدات ذلك العام، بل الشوارع والمباني حتى الناس شعر تجاههم كما لو أنه سائح يمشي لأول مرة في مدينته تلك.

شعر أنه عاد بل ولد من جديد.

القصة الثالثة عشر

النهاية معروفة من البداية

رسم مشهد الجنازة خطاً واحداً واضحاً للرحلة من البداية للنهاية.

كيف تحركت تلك التوابيت السبع من شقتهم في أحدى دول الخليج حتى مقابر الصدقة بالأسكندرية؟

ركبت هي و أطفالها الست لينهي بهم الحال هنا دون صوت واحد يودعهم، دون دمعة.

كانت شيرين زوجة كأي زوجة وربة منزل، تهتم لحال أسرتها التي تكونت حديثاً، بعد وفاة والداها تباعاً لم يتبق لها من يمكن القول عنه عائلة، لا أخوة ولا أقارب فقط زوج أصبح العالم بأسره لترزق معه بستةً من الأطفال تباعاً على مدار خمسة عشر عام.

تنقلت فيهم من وطنها لبلد جديد لعله يكون وطن رزق و سكينه لهم، ولكن للاسف... لم تتحمل شيرين بذلك الجسد الهزيل أكثر من سنوات قليلة من الضغط والمسئولية ليصاب بذلك المرض الخبيث، الذي تخلخل داخل كل خلية صغيرة من جسدها، داخل

قطرة دم تسري في أوصالها، لينتشر كالنار في الهشيم وتتحول حياتها بسرعة البرق لمأساة أكبر من المرض.

دخل عليها زوجها الحنون ذات ليهلة بعد معرفة مرحلة المرض قائلاً بود جارف

-لابد من عودتك للاسكندرية حتى تبدئي العلاج، فهنا التكاليف مرتفعة ولا طاقة لنا بها، و اصطحبي معك أولادنا لانني لن أقدر على رعايتهم مثلك.

لتصدقة شيرين بقلبها الرحيم الذي لا يحمل مقدار شك نحو زوج حنون كزوجها، وتتوجه للمطار و تصل لشقتها بمدينة الحياة - الاسكندرية- و تبدأ رحلتها في الحياة منفردة متحملة مسئولية أولادها تراعهم و يراعوها.

وفي يوم بعد عودتها من أحد جلسات العلاج الكيماوي، اتصلت بزوجها لتطمئن عليه و تطمئنه عنهم، لكن صوته كان يحمل قسوة ما سيقوله لها، جاء صوته فظاً غليظاً بلا رحمة

-لقد تزوجت، أنت طالق.

حاولت أن تنطق بأي كلمة لكن الخط أغلق لتغلق معه حياتها بالكامل، كسى اللون الاسود كل شيء أمام ناظريها، لا مجال للحياة، لم تشعر سوى وهي تمسك سكين تقطع به أوصالها التي

تربطها بالحياة أمام أطفالها الذي ما كان منهم سوى أن اخذوا نفس السكين ليفعلوا كما فعلت الأم، ولكن ابنها ذو الثامنة قرر أن يقفز من نافذة غرفته، وبسبب وجود الشقة في الدور الثالث عشر، لفت ذلك نظر الجيران الذين حاولوا ايقافه الا انهم فشلوا.

وعند وصول الشرطة و صعودهم لشقة الطفل...

دقوا على باب الشقة مراراً دون رد، ليصدموا بالجثث والدماء تسير في ارجاء الشقة متفرقة، لا مكان سوى للموت، ولتخرج جنازة الأسرة كاملة في العيد دزن صوت ولا دموع ولا حتى طريق لمقابر.

فلا أحد يعرفهم، لا عائلة ولا وداع.

لتدفن الأسرة كاملة في مقابر الصدقة، وليكمل الزوج حياته على أشلاء سبع حيوات انتهت بكلمة -أنت طالق-.

لمتابعة الكاتبة عائشة عمارة على الفيسبوك:

/https://www.facebook.com/share/1D8uzRbqof

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

@جميع حقوق النشر محفوظة ل

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١٤٦٠٠٨٣٥٠